مقال في الابدال دراسة صوتية (نظرية تطبيقية) في نظر المحدثين

م.د. محمود كريم جاسم خميس

وزارة التربية/ مديرية تربية الكرخ الثالثة

An article on substitutions, a phonetic study (applied theory) in the view of modernists

Dr . Mahmoud Karim Jassem Khamis

Ministry of Education / Directorate of Education of Karkh III

المقدمة:

الحمدُ للهِ ربِ العالمينَ، وأفضلُ الصلاةُ وأتمُّ التسليم على المبعوثِ رحمة للعالمينَ، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الكرام أجمعين، ومن سار على هذا الدرب إلى يوم الدين، وبعد:

تعد العلاقة بين علم الصوت وعلم التصريف، كعلاقة اللفظ بالمعنى فهما سيان لا يمكن أن نفرق أحدهما عن الآخر ، وبخاصة في باب الإبدال والإعلال والإقلاب ، وأما الصوت فعلاقته بالحرف عندهم علاقة العامّ بالخاصّ، و قال ابن سينا: (ت ٤٢٨ هـ):((والحرف هيئة للصوت عارضة له يتميّز بها عن صوت آخر مثله في الحدّة والثّقل تميّزا في المسموع))

ويعد طلب علم التصريف اللبنة الأولى في علوم العربية ، إذا لا يمكن الاستغناء عنه فقال ابن جني :((يحتاج إليه جميع أهل العربية أتم حاجة، وبهم إليه أشد فاقة؛ لأنه ميزان العربية، وبه تعرف أصول كلام العرب من الزوائد الداخلة عليها، ولا يوصل إلى معرفة الاشتقاق إلا به، وقد يؤخذ جزء من اللغة كبير بالقياس، ولا يوصل إلى ذلك إلا من طريق التصريف))[١]، وأشار لا بدَّ من الأخذ به قبل أي علم من علوم العربية وبخاصة علم النحو فأوجب ابن جني دراسة علم التصريف قبل النحو فقال:((فقد كان

من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف؛ لأن معرفة ذات الشيء الثابتة ينبغي أن يكون أصلا لمعرفة حاله المتنقلة، إلا أن هذا الضرب من العلم لما كان عويصا صعبا بُدِئ قبله بمعرفة النحو، ثم جيء به بعد؛ ليكون الارتياض في النحو موطئا للدخول فيه، ومعينا على معرفة أغراضه ومعانيه، وعلى تصرف الحال))[٢]

وليس من المعقول أن يدرس، في مقال بهذه البساطة مكانة علم الصوت والصرف وبيان الترابط بينهما، وإبراز جوانبهما لكن يسَّر الله لي أن أقدم شيء بسيط بهذا العلم الجليل وهو موضوع الإبدال، وجعلت المقالة على مبحث واحد بعنوان (مقالة في الإبدال) ، وصيرته من مطلبين، المطلب الأول (الدراسة النظرية)، والمطلب الثاني : الدراسة التطبيقية ، واعقبتها بخاتمة أوردت فيها أهم النتائج.

أسأل الله تعالى أن ينفع الطلبة بما كتبت وأن يرزق ناشرها ، وألتمس منكم العفو بما فيها من هفوات وخلل إنه على كل شيء قدير، صلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

المبحث الأول: مقالة في الإبدال

وفيه مطلبان

المطلب الأول: الدراسة النظرية

قبل البدء والخوض في المقصود ينبغي للباحث أن يقف على بعض المقدمات الممهدة لمعرفة هذا الفن؛ إذ يعد الإبدال[٣] من الموضوعات المهمة في الدراسة الصوتية الحديثة، فيرجع إليه القارئ الحصيف لأكثر من غرض، كتحقيق السهولة والتيسير في نطق الأصوات، ومن ثَم التخلص من الأصوات الشديدة، التي تحتاج إلى جهد النطق بها، فهو موضوع له صلة كبيرة ليس بدراسة الأصوات فحسب، بل بدراسة

اللهجات أيضا، وعليه وضع الصرفيون قواعداً عامة له، فقالوا في تعريفه: ((وضع حرف محل حرف آخر))[٤]. ويرد في العربية في ثلاثة، مواضع[٥]:

١. إبدال تاء الافتعال دالا، أو ذالا من الوزن: افْتَعَل، وذلك فيما إذا كان فاء الكلمة دالا أو ذالا أو زايا، والكلمة مزيدة بتاء الافتعال، نحو: ذَكَرَ وزَجَرَ، فإنا إذا أضفنا التاء، قلنا: اذْتَكَرَ وازْتَجَرَ وهذا لفظ ثقيل فنبدل من التاء ذالا في المثال الأول وندغم الذال في الذال، ودالا في المثال الثاني، فنقول : اذَّكر، وازْدَجَرَ.

٢. إبدال الواو والياء تاءً بشرط أن تكون فاء الكلمة واواً، أو ياءً من الوزن: افْتَعَل وألا يكون أصلهما همزة، نحو: وَعَدَ ويَسَرَ، فإن صغناهما على الوزن: افْتَعَل، نقول: اوْتَعَدَ، وايْتَسَر، وهذا ثقيل فنقلب الواو والياء تاءً مع الادغام، وأدغمت التاء في التاء، فنقول: اتَّعَدَ واتَّسَرَ، وهذا ينطبق في كل تصاريف الفعل،

ومشتقاته، فإن كانت الياء منقلبة عن همزة فلم تبدل، نحو: ايتمن، أصلها:

ائتمن، فلا يقال: اتَّمن.

واختلف العلماء في عدد حروف الإبدال، فعدها ابن عصفور اثني عشر حرفا، وتركيبها: (أُجُدٌ طُوِيت منهلا)[٦]، وعدها الزمخشري(٥٣٨هـ) نقلا عن المرادي (٧٤٩هـ) ثلاثة عشر حرفا، وتركيبها: (استنجده يوم طال)[٧].

المطلب الثاني: الدراسة التطبيقية

١. چ چ چ چ ڇ ڇ، اختلف العلماء بشأن هذه اللفظة، فقال الزجاج: ((هي فُعْلِيَّة من الذر؛ لأن الله خرج الخلق من صلب آدم كالذر))[٨]، والقول الثاني: "(ذُرِّيَّةً) أصلها ذُرُوَرة على وزن (فُعُوَلة)، ولكن التضعيف لمَّا كثر أبدل من الراءِ الأخيرة فصارت ذُرويَة ثم أدْغِمَت الواو في الياءِ فصارت ذُرِّيَّةً"[٩]، وقال الزجاج: "القول الأول أقيس وأجود عند النحويين"[١٠].

٢. ﭼ ﭬ ﯓ ﯔ ﮪ ﮩ ﭼ ﮨ ﭼ (١١)، يتخـــذ: اختلـــف العلمـــاء فيهـــا، فقـــال الجـــوهري (٣٩٣هـ): "والاتِّخـاذُ: افتعـالٌ أيضـاً مـن الأخـذ إلاَّ أنـه أُدغِـم بعـد تليـين الهمـزة وإبـدال التـاء، ثـم لمـا كثـر اسـتعماله علـى لفـظ الافتعـال توهمـوا أن التـاء أصـلية فبنـوا منـه فعـل يفعـل، قـالوا: تخـذ يتخـذ"(١٢)، وقـال ابـن الأثيـر(٦٠٦هـ): "يقـال: تخـذ يتخـذ، بـوزن سـمع يسـمع، مثـل أخـذ يأخـذ. وقـرئ اتخـذت ولا تخـذت، وهـو افتعل مـن تخـذ فـأدغم إحـدى التـاءين فـي الأخـرى، ولـيس مـن أخـذ فـي شـيء، فـإن الافتعال من أخذ ائتخذ؛ لأن فاءها همزة والهمزة لا تدغم في التاء"(١٣).

٣. ﭼ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﭼ (١٤)، ليـذَّكروا: "فيــه إبــدال، أصــله يتــذكر وزنــه: يتفعّــل، قلبت التاء ذالا لمجيئها قبل الذال، وأدغمت بها للمجانسة"(١٥).

الخاتمة:

الحمـد لله والصـلاة علـى سـيدنا ونبينـا محمد وعلـى آلـه الطيبـين الطـاهرين وأصـحابه الغـر الميـامين، فلكـل مقالـة لا بـد لهـا مـن خاتمـة تلخّـص أهـم النتـائج التـي انتهـت إليهـا، فـإن أهم تلك النتائج التي تتعلق بهذه المقالة هي:

١. لا يوجـد إبـدال بـين فـاء (الافتعـال) مـن المثـال الـواوي أو اليـائي وتـاء الافتعـال، فلـيس هنـاك علاقـة صـوتية فيهـا بـين التـاء وهـو حـرف صـحيح، والـواو واليـاء اللتين تعدان من الحركات الطويلة.

٢. لا توجـد علاقـة صـوتية بـين الهمـزة وأحـرف المـد؛ إذ أن الهمـزة صـوت صـامت وأحـرف المـد حركـات طويلـة وعليـه تلغـى تعلـيلات القـدماء فـي بـاب ابـدال الهمـزة من أحرف العلة في مجال الدراسة الصرفية.

٣. أن الصوت المشدد لا بد أن يدرس من جانب صوتي حرفي .

الهوامش والمصادر:

(١)المنصف لابن جني، شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث القديم، الطبعة: الأولى في ذي الحجة سنة ١٣٧٣هـ - أغسطس سنة ١٩٥٤م، ص: ١٣٢

(٢) المنصف لابن جني : ص: ٤

(٣) والفرق بين الإبدال والقلب: أن القلب يختص بحروف العلة والإبدال يكون فيها وفي الحروف الصحيحة، فالإبدال أعم، والقلب أخص... وقال بعضهم: الفرق بين الإبدال والقلب أن البدل وضع شيء مكان غيره على تقدير إزالة الأول، والقلب هو تصيير الشيء على غير الصورة التي كان عليها من غير إزالة؛ ولذلك جعل مثل قال وباع قلبا؛ لأن حروف العلة تقارب بعضها بعضا؛ إذ هي من جنس واحد فسهل انقلاب بعضها إلى بعض، وجعل مثل اتعد ونحوه إبدالا؛ لتباين حروف الصحة من حروف العلة. توضيح المقاصد:٣/١٥٦١-١٥٦٢.

(٤) المعجم المفصل في علم الصرف:٩.

(٥) ينظر: الممتع في التصريف:٢٥٠، شرح تصريف العزي:١٢٢-١٢٣.

(٦) الممتع في التصريف:٢١٣.

(٧) توضيح المقاصد والمسالك:٣/١٥٦٢.

(٨) معاني القرآن للزجاج:١/٣٩٩-٤٠٠.

(٩) معاني القرآن للزجاج:٤٠٠.

(١٠) معاني القرآن للزجاج:٤٠٠.

(١١) من الآية:١١١.

(١٢) الصحاح:٢/٥٥٩.

(١٣) النهاية:١/١٨٣.

(١٤) من الآية:٤١.

(١٥) الجدول:٣/١١٣.